ألوان زائفة للبورتريه

شعر
صلاح فاروق

١

دوائر متداخلة

١

لا يمكن لأحد أن يغيرَّ طريقه من أجل عينين مفاجئتين
تسدان الشارع
لكننى فعلت !
كانتا بحجم القلب فى أحلامى
ملونتين
ومغلقتين على فصلهما الخاص
وربما
عامدتين لإثنائى عن المثول أمام الضجر
فأقررت بأخطائى
وأسلمتُ المجاز

كذا
أيها المخدوعون بقدرة العصر
فلتفعلوا
ولتصبكم عدوى الفصاحة
بإخلاصها
والغرامُ
برشاشه
لا تحفلوا كثيراً بآباءٍ يراقبون خطواتهم
ولا بأمهات يخشين مفارقة الصغار

٢

هكذا أفضل
نمر بطيشٍ فى شوارع صاخبةٍ
ونوَّزع اللعنات على المارَّين
واحدة لشحاذٍ يخوفنا بنفسه
وبالآخر حتماً
وواحدةً لأنا خارج الجمع
مُشَوشَون

آخر الليل
يستقبلنا الآباء بغيظهم
ويحلفون أنَّا
لن نكون أبداً من الأبرار
ووحدها الأسَّرة المنزويةُ إلى جوار الحائط
تشفق بنا
وتأخذنا فى عالمها البارد
عالمٍ
ليس فيه الآباء
ولا الشحَّاذ
ولا الشوارع الصاخبة

٣

كذا

يمكن أن تصبح غنيًا

بما يكفى لأن تلفت غرام فاتنةٍ طموح

(تغريك بكنزها)

لكنها حتماً

لا تعوِّض الزهداً الموروث

ولن تستبدل فراشك البارد بدفئها

فراشك العتيق

فى بيت ذىنوافذ واسعة

وجدران فخمة

مُزينةٍ

ببدائع الحداثة

ويمكن أن تطل بوقاحة

على جيرانك الأغراب

وتقولُ : ها

أيها النمل

أيها المتلصص للزجُ

لا تستطيعون رؤيتى

ولن تزحموا بعد اليوم شرفاتى

سأكون وحدى

أتلهَّى بنزاع الأجداد

الأجداد المعلقين فى الأطر الملونة

فوق الجدر المُلوَّنةْ

فى مكتبتى

وقد أجرَّ أحدهم من أذنيه

ليرانى فى (الحمام)

أنعم بالماء المُعَطَّرِ

وبالموسيقى الكلاسيكية

فقط لن تستطيع مواجهتى

وطيلة الوقت الذى تجهده بصبر

سيَبُقيك الفراغ معلَّقًا

بين الجوع والعطش

الزوجة والأولاد

الأصدقاء المشغولين بأصواتهم العالية

والزملاء الصامتين فى مواجهة المقاعد

وسوف يكون عليك بصدقٍ

أن تغادر الشارع القديم

ان تودِّع البسمة الجافلة

٢

دوائر ثانية

١

بكل هذه الأوراق
وبالمداد المسكوب دوماً
لابد أنَّك تعرف شيئاً رائعاً
مثلاً :
كم تساوى دقيقةُ قبل انفجار قنبلة ؟
قلْ لى إذنْ
لماذا تخاف الوحدة !

عشر سنين
تقرأ فى كتاب الليلْ
النجومُ ثعالب قطبيَّةُ
تحدق فى وجهك
والقمر ُطبق محشو بالكرزِ
يا الله !
كم تساوى لحظةُ قبل انفجار دماغك !

أنت اليوم آمنٌ

لديك حساب مفتوح

وزبائنُ

وصبيَّةُ

تناديك بابا

حلمك فى نفسك

وفؤادُكَ

زنة العالمْ

فلماذا تفرُ من الجدران الدافئة

وتدعى

أنك مرصودْ ؟

قل لى بحقٍ :

هل أنت صلاح الدين ؟!

٢

هكذا ببساطةٍ
تفتح قلبك
فترانى
أحمل رأسك
ولون عينيك
وبطاقة حسابك
غير أنى
لا أعرف الوقت المناسبَ
لاصطحابك فى طريقى

هل تصدِّقٌ !
ثلاثون عاماً
كفانا ملتصقان
لغة واحدة
وفراشٌ وحيد
لكننا أبداً
لم نلتق مرّةً
ولم يصدق أحدنا
نبوءة العرَّاف الكاذب
فظلَّ الباب موصداً
ويعوزنا البكاء

٣

سوائل جارية

١

على عادتك
أفرطت بالسجائرِ
وبالأفكار المعطوبة
على معدة خاوية
فماذا جنيت ؟!
رأسك محمومُ
وأحشاؤك صاخبةُ
وكلُّ ما أعددت من بلاغة عجوزٍ
يترمَّد فى خيلاء نازفٍ
يستقبل الغرب
وظهره للخلف

كذا تموتُ
لن يشعر الغرباءُ بحماستك
ولن يشفق الأصدقاء
والرملُ الذى كومتهُ بحرصٍ
ورفعت مدائنه على شغفك
يرجع عادّيا
يسوِّى جداره الخفيف
ويمحو الأقدام المثقوبة

٢

ستغادر بقطار الخامسة

بينما النهار يتلكأ فى أعين الساهرين

لن تقول وداعاً أيها الأصدقاء

وستكتفى حتما

بحقيبتك الرخيصة

وبعض المتون الصفراء

وذاكرة متورِّمة

وحين الأغراب فى الشارع البعيد

يسألون عن أهلك

ستقولُ

ببلاغة فاقعة : ماتوا

وأنهم لم يحسنوا تربيتك

وأنك لا تعرف حتى

كيف تقول : صباح الخير !

كل ذلك وأكثر

ستكون ضعيفاً

الشيخ المحنكُ

يعطيك عملاً

والأرملة الوحيدةُ

تبذل حضنها

وتلك الحسناء الخجول _

رغم الذين مرُّوا ببابها _

ستنتظر حتى يكون الوقت مناسباً

إلى الفراش تأخذك

ويكون لكما أولاد نبلاء

وحين الحنين يغلب قدرتك

ربما بعد عشرين عاماً

لمرأى نخلة مضغوطةٍ

استر برطانتك المحمودة

دمعتين

وخذ إليك أطفالك المعمعيين

شاهدوا معاً قطار الخامسة

وكيف أنَّك لم تقل

وداعاً

أيها الأصدقاء

٤

حديقة فارغة

١

هل تعرفون !!

أخفيت من زوجتى علبة السجائر

(كل مساءٍ أفعلُ)

وشربت كوبين من الشاى

دونما لقمة

تسند البطن الفارغ

وبصقت حتى ابتلَّ الهواء من حولى

وفعلت أشياء أخرى

(أحيانا أخجل منها)

لكننى

أتمنى لو تعرفُ

تلك التى تعرف

وتملأ نفسى بصخبها

لن أحزن للسيجارة الأخيراً

ولن أطلب شاياً جديداً

وسآكل حتى

يُسَدَّ الحلقُ

وربما لأصرخُ

لتصدِّق أننى رجل

كالآخرينْ

المهمُّ

يكون لدىَّ سببُ

لأمسَح من عينىَّ شاهد قبر قديم

وأطرد أصدقائى الملتصقين بجلدى

وأعيش مَّرةً واحدةً

كرجال آخرين

يأكلون شفاههم

ويبتسمون

٢

لم أكن فى حاجة لكل ذلك
سأرضى بكلامٍ فارغ
وربما
بهزة رأس
المهمُّ
أن يكون اعتذاراً صادقاً
وأن يكون لدىَّ
أصدقاء آخرون
عندها
سأملأ صدرى بهواء الدنيا
وأطرد الأشباح من عينىّ
وأضحكُ .. أضحك !

أخيراً
ليس من المحتم على بائسٍ مثلى
أن ينام وحيداً
أو يخاف من صبْية
أشرار بالتأكيدْ
يعترضون سكته الوحيدة
فى العاشرة مساءْ

ه

العام الثالث والثلاثون

١

واحدُ مثلى

يشبهنى تماماً

مخيفُ جداً

ويسكن فى فراشى

يسبقنى بخطوةٍ

ويقول : أنا

لكن أبداً

لا يظهر فى الشمس

واحدُ مثلى

يشرب سرًّا

ويلعن الدنيا

حين يعود ثملاً

ويخبط الرصيف الذى

لم يتركه يمضى فى سلام

يشبهنى تماماً

وليس توأمى الذى مات مَّرة

بينما يحكى عن صديقه الساخر

وعن امرأةٍ لعوب

شاغلته

فأعطى ظهره للشارع

وانصرف

كنعامة عجوز

مقصوصٍ جناحاها

وعمياء

مخيفُ جداً

حتى أننى لا أطيق سماع ذلك

"أخوك سينتهى كالعظماء "

مَّرة رأيتُه فى الفراش

يحبك سترتى

ويطيِّر الأوراق من النافذة

كذا النومَ

وكلَّ وهم رأيتهُ يكبُر

فى شاشة العرض

أسبقه مرَّة

فيقول : أنا

ولا يعود أحد يرى

وجهه المألوف

فى نهار الشارع المظلم

الشمسُ

آخرُ شئ يراهُ

آخر شئ

يعرفهْ

٢

هذه الفوضى الجميلة
مرآة خوفى
مسوخُ من الأوراق والأقلام والأكواب
والبقايا
تطلُّ بوجهها فى وجهى
فتفزعنى
ولا أرانى
سوى فأر صغير
مذعوراً يركض فى الزوايا
وضوءٍ يخبو فى الثلاثين

هكذا كنتُ
شاعراً يزخرف الدنيا
ويعلمُ
ليس له سوى الفوضى الجميلة
بكارته التى وَّلَتْ
وحبَّه المعلَّق فى أيامه الباهتة

أخيراً
كنت لا أحلم بالموتى
بينما الدنيا
تصخب بحزنها النبيل

٦

دوائر موسَّعة

١

فى نصف العمر نتعبُ
يأتينا البرد من كل الجهات
يأتينا البردُ
ويأخذ دثاراتنا
ومعاطفنا الجلديَّةْ
وقمصان القطن
يأخذها
ولا يترك شيئاً
سوى علامةٍ
تجمِّد العيون والقلوب
وتشهدُ:
نحن شواهد قبورٍ مؤجلةٍ
وأمتعةٌ مهملة

ثلاثون عاماً أخرى ستمرُّ
ربما
ثم تعرف أنك واحد غيرك
خدعته الحداثة
ثلاثون عاماً تكفى
لأن تتخلص منهم جميعاً
واحداً فواحدا
وجوهَك المطاطيَّة
وأصدقاءك الطيبِّين

مازلت أكرَّرُ
دخان سجائرنا باهتُ
وأحزاننا باطلة
ككل الأحكام التى نأخذها بجديةٍ
ونعلّقها
فى واجهات العرض
تمائم صيفية
هل ترى إذن من تفاوت !؟

ككل قراراتنا الصعبة
نكذب فى لطفٍ ونومى
نشدُّ الوجه ببسمةٍ بلهاء
كأننا مرتاحون
فيما الحوار متكررٌ وغامضُ
بطريقةٍ مسرحَّية
ولا نفهم أنفسنا
أو نكاد

بطريقة غامضة تماماً
نعرف كل شىءٍ ونفَرحُ
نخبئ أحزاننا فى جيوبنا السفلية
ونقول للدنيا أننا مولودن حديثاً
ولا مانع
من تقبيل فتاة عرض طازجة

٢

مثلاً

أقصُ استعاراتى بخطوطٍ معوجَّة

وألصقها الفوسيفساء

بالطبع

تبقى فراغاتُ

بالصمغ أملؤها

لتتميز الألوان فى كل ركنٍ

وتنطق الصورْ :

- فى الجانب الأيمن

مشهُد لقلب حزينْ

تماماً فى هذا الوقت

قبل نصف الساعة من الآن

(لفارق التوقيت)

فى عشر سنين

لصق الحائط الشرقّى

على واجهة الزجاج

فى كلية الآداب

تكتبُ :

لن أكون حبيبتك

٣

ليلةً بعد ليلةٍ

الكلب الذى وضَعَتْه جارتى

أمام شرفتها

يحجز الغرباء

يتبع خطوتى

أفهمتهُ

أننى مثلهُ

عابرُ

يزحم الغرباء غرفتهُ

فوق بيته

لكنهُ

أزنى بريبه

قال :

لست ودوداً

يبدو

ولا أحبُّ الخلصاء

عيون حمراء

تلك إذن عيونُ حمراءُ واسعةٌ
بأسنانٍ حادةٍ
واثقةُ منَ قدرتها

لو أرادت
سحبت روحى
حتى قبل أن أفكّرَ
فى عدد الأسنان
تلك التى سوف تعلقُ ..
ومع كل هذه الفظاعة
كلما فكرتُ فى ضياعها
أشفقتُ من وحدتى

٤

الحمد لله ...!
ليست شعرةً بيضاء
كنتُ ستضطرُ إلى أشياء قبيحةٍ
لا تليق بناقدٍ حداثىَّ

ربما فراشةُ
ظنَّت رأسى غابة
وكما ينبغى
فى مشهدٍ رومانسىّ
فوق قمةٍ للضوء
تحت عيونِ الكاميرا
ودون جمهورٍ
تنتهى

ربما فكرةُ ماكرةٌ
أرسلتها إحدى المعجبات
فى ليلةٍ
كشفت عن سخونتها
خلف مشدات الصدر
وخلف الكواليس أيضاً
حيث لا ينبغى التصويرُ
وممنوعٌ الاقتراب
(إلى حين)

ورطةٌ حقيقيىٌ
لوتعلمونْ
حضن زوجتى الدافئ
يترك علاماته
دائماً
بعد الأربعين

٥

وحده فى الشارعِ
ظهيرة يومٍ حار
تحت واجهة كلاسيكيَّة
سوف يُتَرَكُ
جنب أفكاره
لصق الحائطْ

لو كان يعلمُ
لم يؤخرْ موعدهُ
ولم يضعْ
فى جيب بنطاله
حين واتته الفرصة
أصابع
أعوزتها الحيلةُ
أمام الصدر العارى
والفخذ المنفرج

أحرقت كل أدوارهِ
ولم تجعله مَّرةً
يعرف العناق

كهذه الشواخصِ
جعلتنى
فلماذا الغضب !

أيها الخوفُ
لاتعُدْ
قبل مساءٍ بعيدْ

٦

أجمل من حلمٍ عارض

ياخسارة ... !

لولا إغلاقٌ

فى فتحة الصدرِ

يتلكأُ

كنت سأحمل صورتها

بينما

من خصاص النافذة

لمحاتُ غامضةٌ

من ضوء الوجهِ

تتردَّدْ

كيف أطيق وحدتى
وأصابعى
تلك التى استعَّدتْ
لحوار طويلٍ
فى شعاب المرجانِ
حين شمَّمتْ ريحها
أغلقت الهاتف

لا ريبْ
نحن المولعين بأغنيات الطفولة
برغم كونها
.. نوستالجيا
نفرح بالثرثرة

٧

فى واجهة العرضِ
فى المقعد الشاغرِ
تحت عمود الضوءِ
خلف الزجاج اللامعِ
فوق الكرسىَّ الأسود
فى الفستان الأسود
فتاة شقراء

(لابد أن تكون كذلك
ليفرح الزبائن !)

قلتُ :
كم عاشق خبَّأ الصدارُ المحكَم !
كم ليلة
ظلَّ الهواء
بين النهدين الشامخين
ينقل الرسائل

٨

يا وجهى الملائكى

وجهى الأسود

الوجه الذى حملته ستةً وثلاثين عاماً

دون ملل أو زراية

يتجنَّب أن يلقانى

..

بالتأكيد

أغضبتهُ

حين عرضت عليه تعديلاً فى الملامح

وأفهمنى بصدقٍ أنهُ

كما أنا

.. يحبنُى

بدمامتى

بأخطائى الجريئة التى

عرفت منها الحياة

لكننى

يا وجهى الأسود

يا وجه الملائكة

هل ستصبر حقاً

إذا تخاصرنا فى الطريق !

٩

يا بيتُ

أغلق عليك نوافذك

لن أتهم سواى

سأقلّب الصفحات الأخيرة

وأقرأ فى أسباب هزيمتى

حيث تركت يداً فى الشارع الخلفىّْ

تمسح الماء والغبار

عن جدرانى

قلتُ –

الحزن جفَّف قدرتى

وجرأتى

مشى وحدهُ

وعند المنعطف

أظلم المشهدْ

١٠

أن أتدرَّب جيداً
أنظر فى المرآة بوضوح
أهندم القميص الوحيد
وأضبط الكرافات
ذلك الذى استعرتُهُ
آخر مَّرةٍ
لآخر مَّرةٍ
وألمعُ الحذاء
دفعت فيه ثلث راتبى
(سبعين جنيهاً بعد الخصم)
لابد أن يكون جيداً
ليس عندى مزيدٌ من الوقت
والتدريب مهمٌ
سأوضح له
- أنا شاعرٌ بالفطرة
لم يصبه الدورُ
وباحثٌ بالفطرة
أقولُ -
أجمل بيتٍ قالته العربُ
هو أنت
وأستاذٌ
مثل هؤلاء الذين علمونى
ورمونى فى متاهاتهم

١١

فى الوجوه والمرايا
لا نأمة تدلُّ عليك
لا خطوة تطمئن خاطرى
وبين الزوجة والأصدقاء
فى المربعات السوداء وحدها
كارثةٌ أخرى
يبين عنها الخوفُ
(عاش الملك
مات الرجاء)

بينما
تدور بك اللَّذةُ
فى حدقات المشيعين
الحدقات الثابتة
خلف كلَّ باب تطرقُه
وأمام الجُدر البيضاء
هل ثمة شىءٌ تعرفه !

المقاهى ساهرةٌ
وعيناك مشبعتان
بدخان سجائرهم
ومقعدك الفارغْ
دائماً
ينتظر دوره المؤجَّل

١٢

أيها السادة

أنا ضيف ثقيل

ضيفٌ ثقيل جداً

تعرفون الحال

حين تكون سخيفاً

لا تستطيع أن تبتسم

كما تقضى المجاملة

لا تستطيع أن تفرح

حين يكون ثمة داعٍ لخداعكم

برغم ذلك

أنا الوحيد بينكم

الوحيد دائماً

٧

خطوط رأسيَّة

١

أحياناً
ينتابك خوفٌ مفاجىءُ
فتقطع الشارعَ
فى لحظةٍ
ولا تنظرُ خلفك
لو تأملت حقاً
وجدت شخصاً شائهاً
يتبع خطوتك
كأنك تعرفه

٢

بينما الأعينُ
تنوش الثدى البارزَ
تحت القميص القطنىِّ الخفيف
ونظرةُ إعجابٍ
تشجِّع الكسالى
فى طابور المشاهدَةْ
وآخرون ينتظرون

إذن لن تكون وحدك
فى زحام الحافلة

٣

عِدْنى بشىءٍ جديدْ
أن تبكىَ صادقاً
أو ترحل مَّرةً
وإلى الأبد

٤

أيدينا التى علمناها بصبرٍ
كيف تقبض النساء
لم تعد أيدينا
لأنها
ببساطة
بعد طول انتظار
أنكرت جهلنا
بخبراتها الرائعة

٥

مؤخّرات النساء
ليست دائماً
شيئاً جميلا
نحلم بوجوده
لكننا
نحن المحرومين دائماً
أبناءَ الفقراء
نبحث عن دفء الطفولة
ومعنى للبقاءْ

لو أنَّ الله محاهنَّ فجأة
هل سنعرفُ
شوارعنا
أو نستطيعُ المضىَّ بشجاعةٍ
لبناء منزلٍ جديد

٦

لعينيك أكتبُ جملتين
أحبك
أنت أيتها العاهرةُ المقدسة
حين تفتحين فمك
بمقدار قوس السماء
وحين ظلَّى
ينزلق
فوق خصرك
أكشف عن فتنة الأرض
فى نهديك
وأعرفُ
حكمة الوطء الخلاسىّ

٧

كهذه الأرقام الصغيرة
فوق الصحف المطويَّة
كخطوتين موصولتين
بين رغابٍ ممنوعة
كأخطائنا المضحكة
أخطائنا التى غرسناها
فى الأفنية الخلفية
ولازمتنا
فى كل بيت ندخُلُهْ
مثل كل شئ آخر نعرفُه
فى هذه الشوارع
داخل القمصان المكوية
يظل رجالُ مؤجَّلون

٨

فكّر جيّداً
ظلك محشورٌ
ويداك فارغتان
فلا تضعْ منفاك فى قلبى
وأفسح مكاناً
لسيجارةٍ
وكوب شاى

هكذا
ينفضُّ وقتٌ مشمسُ
وأشواقُ

كذا
تهلك
ويبدأ العمل

٩

غداً

تضئ الواجهاتُ

بعرى النساء اللواتى خرجن

ليربين

أعين عشاقهن

لصيفٍ مقبلْ

وليس لخطوتك

واحدةٌ منهنَّ

تلتفت

لخطوتك التى تكلَّستْ

من أثر الإرهاق اليومىّ

فوق متونٍ صفراء

ودساكر طلابية

تعبث بأغطية الجميع

ثم تملأ الأقبية النتنة

بالفقاقيع الملونة

١٠

حقائب كثيرةٌ عادت
لكنَّ يدى
ظلت محشورةً فى بابك

أصابعى وحدها تلوِّحُ
ومن ذراع مقطوعٍ إلى ذراع
تنزف حقارتى
دون أن يمنحنى خصرٌ واحدٌ
تاريخ ودٍّ
أو صراع

ستحزن لى
وتقسم أنى
دفعتُ بيدىَّ هاتين
قدمىَّ إلى الشرك
فعاد الخوف سيِّداً
والأشباح أصدقاء

متى أروح كطائرٍ
وأرقد فى سلام !

٨

أضواء خلفية

١

كأنما

هبط الليل فجأة

ولم تكد تخلع القميص

حتى فاجأتك العينان اللتان لم تحلم بهما أبدا

ولم تعرف ماذا تقول !

هل تراها بيتت حصارك النبيل !؟

- ستحلفُ

أنا لم أخطط لعناقك

وما دريت كم سيأخذنى الوقت لديك

لكننى اليوم

أحب أن أرنو بصبرٍ

وأن آخذ وجنتيك براحتىّْ

وأن أخدع الأصدقاء عنك

بلمسة

خفَّيةً

كل ذلك والليل مطاطئ الرأس

مشغولٌ بعاشقين جديدين

خجولين جداً

وينتظران أن يخلو الجوُّ

فينطلقان قليلاً

بعتمةٍ

لطيفةٍ

قبل تحاصرهما الشكوكُ

وتفطُر الأكبادُ

بليلٍ وحيد

ليلٍ باردٍ بعيد

وشك خطوة

من الغد الآتى

٢

كآخر شئ يمكن أن يقال
بوداعٍ رومانتيكى
(عيناكِ لجةُ تنهار بى
ويداكِ سفينة حيرى)
وحين أشبك الأصابع بقلبى
ينزغنى الوجد والشيطان
– قبِّلْنى
وكل هذه الدموع والرجاءاتُ
تنهرُنى
فأرانى ماشيًا
أحرق السجائر بصدرى
وأحرق صدرى
ولا أطيق خطوة أخرى
تنزعنى
أنا الذى ما فكرت قبل اليوم بهما
وما انتظرت لقاء حارقاً
كيف لى
أطيق الرجاءات
وأطيق المشى
وأطيق الوجد

لعلنى

كأصغر مشرد عرفته

لا يستحق الحب

ولعلنى

كأحقر لصٍّ

تسلل خفيةً

- جائعٍ

لكنه

لا يستحق الرحمة

٣

كل حديقةٍ هى أجملُ
حين تعلّق فى يديك صمتك
وذكرى نحيلة
لامرأة داعرة

وحين تفاجأ
بهواء لطيفٍ يمر فى رئتيك
لا تصدق أن الربيع جاء
لا ريب أنها خدعةٌ
تراها

لابد إذن
كما ينبغى لصعلوكٍ مثلك
أن تحيا
فى ظلّ الأمنية

بشجاعة
واجه الألوان
وبنزق أيضاً
فبعض الحماقات ينفعُ
فى الشتاء

شمس أبريل
ترُّص ضياءها بحكمة
فوق الوجوه العابسة
تلسع الأيدى الحديدية
تلمس الأزهار
فى قلبك

يحسن أن تصدق
شمسك الوحيدة
هى ما تراه

٤

كل هذه الرغبات فى صدرك
تعمل فى صمت
وبدأب حقيقىٍّ
على أن تنسى
وأن تخطو مضطرباً
بين أرصفة أخرى
لكنها
فى كل مرة تستجيبُ
تترك ندبة
وتضحك من سذاجتك

كل هذه الرغبات أنت
ووحدها
تلك التى لم تقل لها مَّرةً
كيف تنام محتضناً صورتها
تعلم سَرّ احتباسك
تحتفظ بك
لانفجار باهتٍ
وقد تعلّمك
بعد فوات الوقت

كيف تغسل جيداً
فى رماد سَرتها –
يديكْ
أو ترفع النهدين عاليًّا
فى مواجة حزنك

عندها
تغلق الكتاب وتسعلُ
حتى يراك الآخر !

٥

لن يكون صعباً
سأغمض عينى
وأرسم نهراً جارياً
وأعبر قدرى

سأقول إنى تائه
وإننى
أسطورىّ
يبحثُ عنه فى الحكايا
- ومن جديدٍ
أبدأ
فصل الكهولة

- سأمرُّ فوق السياج بخفةٍ

.............................!؟

لن أجرح يدى

وسوف يكون عندى كل شىء

فى دفترى

وفى حقيبة الجلد

فرشاتى

ومعجون الأسنان

هل ترون ذلك صعباً

إذن .. أبدأ من جديدْ

٦

من غير أن تلتفت
قالتْ – تهيًّا
وانتظر الإشارة

– فى كل يومٍ أذرع سكة اللقيا
بظلال تتلّهبُ
وحين تزورٌ الشمسُ
أترك علامةً –
دمعتين
وذكرى من حنين

كذا آنست بأشجار الطريق
وآنست شتاءها المقيم

كنت أحدِّثها وتسلّينى
بذكرى الأشجار التى خلفت ندوباً
– صرت شجرة
وصار الطريق علاقةً
تؤنس عاشقين يستلمان الأشجار

فى الصيف المقبل
لن تعرفنى
سأكون وراءها ،
تعشّش الطيور فى رأسى
وتلمس الجعارين بيوتها
فى جذورى
وحين تسمع صوتى أخيراً
تلتقى بدمعتين وذكرى من حنين
– تقول :
آيس من رجوعى
واستعجل الطريق

٩

ضد الذاكرة

١

بدافع الحبً وحدَهُ
نضع أروحنا رهْنَ الطلبِ
ونوجّل محاولات ضروريَّةٍ
لتصحيح النظر
لاسيِّما
أنَّ وظائف الرّوح تعددتْ
ولهفة الجسد صارتْ
تملأ المشهدْ

وما يجعل الأمرَ ثقيلاً حقاً
بكلّ ما فى طبيعتنا
منْ سذاجة مفرطةٍ
أننا قد نظنٌّ
كمجموعة من المراهقينَ المعاصرين
بنظرةٍ واحدةٍ
من نظرات الأجداد الحكماءْ
أو باجتهادٍ مناسبٍ
نستطيع تجاهلَ الشروخ العميقةِ
فى انعكاساتِ وجوهنا
دون أنْ يخفف من حقيقة الأمر
لمعة عارضة
فوق واجهات الزجاج
تحت النظارات السَّوداءْ

وقدْ نرى

هربًا منْ هذا المأزق طبعاً

ذلك العذر الواهى

العذر المقبولَ لأمثالنا

فى حالاتٍ كهذهِ

لارتكابِ حماقاتٍ

من النوع الذى تعرفونـهُ

أعنى

بتواضع خبرة مَنْ يألف التوبيخْ

أن الشوارع باتت شركًا

تصيد كلَّ استثناءٍ يُتاحُ

فى اشتباكِ يدين عابرتينْ

أو نظرة مغوية لأغرابٍ

يلقوننا صدفة

فى السابعة تمامًا

صباح كلّ يومْ

على أيَّة حالٍ
ستظلٌّ لدينا فرصة واحدةٌ
فرصة أخيرةٌ – كما يُقالْ
لإنقاذ سمعتنا
وربـــَّما . . .
نجدِّد التواصلَ المذلّ
التواصلَ الملحَّ بين أروحنا
وشوارعَ خلفيةٍ هجرناها
دونَ مواساةٍ
وبغير سببٍ واضح
لموقف العداءْ

ماذا يمكن أن نضيفْ !
على بلاطها العارى
فى غضون ساعتين على الأكثرْ
نستطيع ببعض التوفيق
أن نرى أثرا رطبًا
لأرواحٍ خفيفةٍ
أرواح ظلت بمنأى
عن شعورنا المُحْبط
بفوائدِ التقدُّمْ

٢

أليس من المناسب الآن
من المناسب جداً
لعجوز مثلى
رجل فقد بهاءهُ
ولم يعد فى إمكانه
أن يحزن لشئ
أن يجد لنفسه بيتاً آخر

لكننا –
برغم كوننا كباراً
نميل إلى أن ننسى
نتحسّس بثورنا
هذه البثور الوديعة
بثورنا القديمة
التى صاحبناها طويلاً
ولم نألفها بعدُ
أليس من المناسب الآن
المناسب جداً
أن نتوقف قليلاً
أمام خرافة التذكر
وغوايته أيضاً

٣

من أين جاء ؟
تركته فى المدرج الخالى
وقلت وداعاً
أيها الرفيق

هل تبع الظل الباهت ؟

عرف الرائحة من خطوتى
ولم ينخدع بكل ما أبديته من أسباب خاصةْ
قال :
سأظل مقيداً إلى فراشكْ
أبدد وحشتكْ
وأحميك من أفكار السوءْ

أمامنا مشوار طويل
قلتُ :
كان الوقت مساء
وهذا وقت النومْ

٤

في هذا الوقت
الأرملة تضئ وحدتها
بالذكريات
والرجل الوحيد لصق حجرتها
يدور على نفسه مستمنياً

لو أن ملاكاً ثقب الجدار
لوفر الشيطان حضناً لاثنينْ
ومادة سخيَّةً للنمَّامين
في الليالى الباردة

فهرست